

الملتقى الدولي: الديانات السماوية والتحديات السياسية
المنعقد يوم 14 جوان 2021 بجامعة أحمد بن بلة وهران1

عنوان المداخلة: "الأمن الفكري ودوره في تحقيق السلم المجتمعي
في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية"

إعداد: د هشام شوقي

chougi_19@hotmail.fr

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يعيش العالم المعاصر تحديات كثيرة كانت نتاجا طبيعيا عن المستجدات التي ظهرت في العصر الحديث، وهذه التحديات توزعت على تحديات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها، وهي تختلف من بلد لآخر ، ولكن التحدي المشترك فيها جميعا هو التحدي الفكري الذي بات يشتكي منه العالم أجمع نظرا لخطورة الانحراف الفكري على الأفراد والمجتمعات؛ ولذلك تسعى جميعها لتحقيق الأمن الفكري، لأن هذا النوع من أخطر أنواع وأشكال الأمن في العصر الحاضر نظرا لصعوبة التعامل مع ما يعرف بـ "التطرف الفكري"، وعدم التحكم في مجرياته، والتنوع في أساليبه وانتشاره على مساحات شاسعة .

ولخدمة هذا الموضوع أقام -مشكورا- مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا وقسم الحضارة الإسلامية، بجامعة وهران ملتقى دوليا بعنوان "الديانات السماوية والتحديات السياسية" .

فتقدمت بهذه الورقة البحثية التي تسلط الضوء على جزئية من جزئيات هذا الملتقى، حيث تعرضت لجوانب مهمة من قضية الأمن الفكري والتحديات السياسية، وحاولت الإجابة فيها عن الإشكالات الآتية:

مامعنى الأمن الفكري وما أهميته ؟ . ماهي العوامل التي من شأنها أن تسهم في تحقيق الأمن الفكري؟ . وهل هناك عوائق تحول دون تحقيقه ؟ . وما دور الأمن الفكري في تحقيق السلم المجتمعي وأثره في ذلك ؟ .

كل هذه التساؤلات سيجد القارئ إجابة عنها في هذه المداخلة التي قسمتها إلى أربعة طالب هي:

المطلب الأول: تعريف الأمن الفكري والسلم المجتمعي وأهميتهما .

المطلب الثاني: عوامل تحقيق الأمن الفكري .

المطلب الثالث: عوائق تحقيق الأمن الفكري .

المطلب الرابع: أثر تحقيق الأمن الفكري على السلم الاجتماعي .

وتفصيل هذا كله كما يلي:

المطلب الأول: تعريف الأمن الفكري والسلم المجتمعي وأهميتهما .

ويحتوي هذا المطلب على ثلاثة فروع، تعرف بمصطلحي البحث وأهميته، وهي:

الفرع الأول: مصطلح الأمن الفكري .

أولاً: الأمن:

أ- وهو في اللغة : سكون القلب واطمئنانه. قال ابن فارس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان:

أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب. والآخر: التصديق .

والمعنيان متدانيان، قال الخليل: الأمانة من الأمن، والأمان إعطاء الأمانة، والأمانة ضدّ الخيانة، يقال أمنتُ الرجلَ أماناً وأمانةً وأماناً، وآمني يُؤمني إيماناً. والعرب تقول: رجل أمانٌ، إذا كان أميناً، وعلى هذا، فالأمن في اللغة: هو سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه وتوقعه¹ .

قال الراغب: «أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر. ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يُؤمنُ عليه الإنسان»² .

ب- وأما الأمن في الاصطلاح : عرفه الجرجاني بأنه: «عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»³ .

ويمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئناً في نفسه، مستقراً في وطنه، سالماً من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله .

فالتعريف بهذه التقييدات قد أبان عن أن الأمن لا يتحقق ما لم يكن هناك حفظ للضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها⁴ .

ثانياً: الفكر:

أ- في اللغة: هو تردد القلب، وتأمله ، قال ابن فارس: «الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء». يقال: تفكّر إذا ردد قلبه معتبراً. ورجل فكّير: كثير الفكر»⁵ .

ب- الفكر في الاصطلاح : عرّفه الزبيدي بقوله: «الفكر في المصطلح الفكري والفلسفي خاصة هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري»⁶ .

وبناءً على هذا، فمفهوم الفكر يشمل النظر العقلي، وما ينتج عن ذلك النظر والتأمل من علوم ومعارف.

¹ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط:1، سنة: 1399هـ/ 1979م ، (1/ 133) .

² المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، سنة: 1412 هـ ، (ص: 90) .

³ كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: 1، عام: 1403هـ. (ص: 55) .

⁴ مقال بعنوان "أهمية الأمن الفكري"، د. محمد الواصل المعهد العلمي في الملز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

⁵ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (4/ 446) .

⁶ نقلاً بحث "أهمية الأمن الفكري" ، د: محمد الواصل .

ثالثاً: مصطلح الأمن الفكري:

عرف هذا المركب بعدة تعريفات منها:

- 1- الأمن الفكري هو أن يعيش الناس في بلادهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية .
- 2- أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة .
- 3- إنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال، في فهمه للأمر الديني، والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة.
- 4- ويرى الباحث أنه يمكن في نطاق هذا البحث تعريف الأمن الفكري بأنه "الشعور بالأمن الروحي والنفسي والجسدي والعقلي والمادي بما لا يتعارض مع الدين والمبادئ والمثل العليا والأخلاق التي يؤمن بها الفرد والمجتمع ولا تؤثر سلباً على أفكار وحياة الآخرين¹ .

الفرع الثاني: مصطلح السلم المجتمعي .

أولاً: السلم:

- أ- لغة: قال ابن منظور: " السِّلْم والسَّلْم: الصلح، وتسالما: تصالحو، والخيل إذا تسالمت تسالمت لا تهيج بعضها بعضاً. والتسالم: التصالح. والمسالمة: المصالحة. وحكي السِّلْم والسَّلْم: الاستسلام وضد الحرب"² .
- ب- اصطلاحاً: السلم هو: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة³ .

ثانياً: الاجتماعي:

- أ- لغة: الجُمع: ضمّ الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ، قال عزّ وجل ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة:9)⁴ .
- ب- واصطلاحاً: الاجتماع: تقارب أجسام بعضها من بعض⁵ .

ثالثاً: مصطلح السلم الاجتماعي: له تعريفات:

- 1- عرفه الأستاذ البدوي بأنه: " توافر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعات أو دول"⁶ .

¹ الأمن الفكري المفهوم التطورات والإشكالات، د: إبراهيم بن محمد علي الفقي، بحث قد للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، كرتسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، سنة: 1430هـ، (ص:12) .

² لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط: 3، سنة: 1414 هـ، (12/ 293) .

³ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: 421) .

⁴ المصدر نفسه، (ص: 201) .

⁵ التعريفات، للجرجاني، (ص: 10) .

⁶ السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية، محمد سليمان المومني، بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، الأردن، سنة: 2017، (ص:118) .

2- مفهوم السلم الاجتماعي ويقصد به وجود حالة السلام والوثام الانساني داخل بيئة المجتمع المعاش كعنصر أساسي من عناصر تقدم وتطور بناء المجتمع وأفراده¹ .

3- و السلم الاجتماعي هو الطمأنينة التي تنفي الخوف والفرع عن الإنسان، فرداً أو جماعة، أي أن يكون المجتمع المسلم، كالبنين المرصوص، يشد بعضه بعضاً .

ومفهوم السلم الاجتماعي في الإسلام يستوعب كل شيء مادي ومعنوي، فهو حق للجميع أفراداً وجماعات، مسلمين وغير مسلمين، محتوياً على مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة : حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض المطلوب شرعاً المحافظة عليها² .

الفرع الثالث: أهمية الأمن الفكري والسلم المجتمعي:

مما يؤكد أهمية الأمن الفكري هو حماية النشء من الوقوع في الانحراف الفكري الذي تنجر عنه الفوضى، ويكون ذلك بالتوجيه الهادف عن طريق المؤسسات الدينية والاجتماعية في المجتمع، والتي تقوم بدور كبير في وقاية المجتمع والذود عن حياضه، ومن أهم المؤسسات التي تقوم بهذا الشأن ولها دور وقائي في معالجة مثل هذا الفكر: المسجد، والمدرسة، والجامعة والأندية الثقافية والرياضية، فالخدمات التي تقوم بها مثل هذه الجهات هامة وضرورية كالوعظ والإرشاد، والتوجيه النفسي والسلوكي والاجتماعي والتربوي والتعليمي، والنشاط الرياضي والثقافي، واستغلال أوقات الفراغ عند الشباب وشغلها بما يفيد من أنشطة نافعة للفرد والمجتمع، وهذا لا يكون له تأثير إلا إذا كان القائمون على هذه المؤسسات لهم قدرة وكفاءة للتصدي لمثل هذه الأفكار وتوجيهها التوجيه السليم والذي يعود بالفائدة على الشباب والمجتمع .

فالسائل المتاحة من هذه الجهات وغيرها، وأيضاً وسائل الإعلام المختلفة والتي تخاطب هذه الفئة الهامة في المجتمع من أجل الوصول لحفظ فكرهم من الانحراف، والسعي الحثيث في توجيههم التوجيه السوي الذي يحفظ عليهم دينهم وأمنهم ووطنهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (آل عمران:103)، وقول النبي ﷺ (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)³ .

والأمن الفكري ثمرته السلم الاجتماعي ولذلك كان ضرورة دينية وسبباً لبقاء الحياة واستمراريتها كما قال تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: 2-4)، فالحاجة إلى الأمن حاجة أساسية؛ لاستمرار الحياة وديمومتها وعمران الأرض التي استخلف الله تعالى عليها بني آدم، وانعدام الأمن يؤدي إلى القلق والخوف ويجول دون الاستقرار والبناء، ويدعو إلى الهجرة والتشرد، وتوقف أسباب الرزق مما يقود إلى انهيار المجتمعات ومقومات وجودها؛ لذا كان من الأهمية بمكان .

¹ مقال بعنوان " السلم الاجتماعي مفهومه ومقوماته"، د: ناجي عباس، نشره مركز عدل لحقوق الإنسان، 2ماي 2019 .

² السلم الاجتماعي ضرورته ومبادئه في الشريعة الإسلامية، د: أحمد أشرف همداني، (ص304).

³ رواه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن التحاسد والتباغض والتدابير، رقم: 6695 .

⁴ مقال بعنوان "أهمية الأمن الفكري"، د. محمد الواصل، المعهد العلمي في الملز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وإن من أهم المقاييس الأساسية لتقويم أيّ مجتمع، تشخيص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه. ولذلك روى عبيد الله بن محضن الخطمي عن أبيه وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ "من أصبح منكم آمناً معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"¹ .
 وحتى لو نشبت الحرب والمعركة مع المعادين المعتدين فإن الإسلام يشجع على اغتنام أي فرصة لإيقاف الحرب والقتال إذا ما أظهر الطرف الآخر إرادته في التراجع عن عدوانه والرغبة في إقامة علاقات سلمية، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال:61)² .

المطلب الثاني: عوامل تحقيق الأمن الفكري .

إن لتحقيق الأمن الفكري عوامل كثيرة إذا توفرت تحقق وإذا تأخرت لم يتحقق، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

1- التحاكم إلى المصادر الأصلية للشريعة من كتاب الله وسنة رسول الله: فأول سبيل لتحقيق الفكر المعتدل، هو الرجوع للمصادر الأصلية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعدم تقديم شيء من الآراء عليهما كما قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء: 65)، وذكر الرسول ﷺ أن النجاة إنما تكون في الرجوع إلى الكتاب والسنة فقال: "«تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يترفقا حتى يردا علي الحوض»"³ ، كما نبه الرسول الله ﷺ إلى أن من أسباب هلاك الأمم اختلافها على أنبيائها، فقال: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا"⁴ . ومن أبرز مظاهر الاختلاف على الأنبياء عليهم السلام هو تلك التحريفات المرتبطة بهديهم، وتحويله من هدي رحمة وعدالة ولطف إلى هدي قسوة وجور وظلم، عبر تقديم المتشابه على المحكم، والمؤول على الظاهر، وعبر التفسيرات المختلفة للنصوص والمتمزجة بالهوى والرغبات النفسية⁵ . قال ابن تيمية: "وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة، والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم، فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق"⁶ .

2- الرجوع إلى العلماء الربانيين الموثوقين : لأنهم الذين فهموا نصوص الشرع حق الفهم، ولهذا ورد الأمر بالعودة للعلماء الراسخين المحققين الذين يميزون بين المحكمات والمتشابهات، ويفتون في الوقائع المختلفة بما يحقق مقاصد الشرع

¹ رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب: من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده، رقم: 2517 .

² السلم الاجتماعي ضرورته ومبادئه في الشريعة الإسلامية، د: أحمد أشرف همداني، ص 306 .

³ صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، المكتب الإسلامي، (1/ 566) .

⁴ رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، رقم: 3321 .

⁵ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: 38، جوان 2018، (ص170-171) .

⁶ درة تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: د: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 2، سنة:

1991 م، (1/ 234) .

منها، فذلك الرجوع هو الحامي للهدى الإلهي من أن تتسرب إليه الأهواء، فتتحرف به عن مقاصده، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ (النساء: 83)، أي: إلى علمائهم أو أمرائهم¹.

وقد اعتبر رسول الله ﷺ من أسباب الضلالة الرجوع لغير أهل العلم، فقال في الحديث: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"²، ولهذا نجد من أبرز مظاهر الفكر المتطرف والمتساهل تحقير العلماء والسخرية منهم، والدعوة إلى عدم الرجوع إليهم، إما باعتبارهم علماء غير محققين، أو علماء سلاطين، أو علماء مقلدين، كما يبرر ذلك أصحاب الفكر المتطرف، أو باعتبارهم علماء تقليديين رجعيين متخلفين، كما يبرر ذلك أصحاب الفكر المتساهل والليبرالي والحداثي³.

3- التحلي بمكارم الأخلاق: فحسن الأخلاق من أهم المقاصد التي جاء بها الإسلام، ولهذا رفع تعالى شأن حسن الخلق حينما امتدح به نبيه فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، ونوه ﷺ بحسن الخلق حين قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم (وفي رواية صالح) الأخلاق"⁴. فالأخلاق الفاضلة هي صمام الأمان لصاحبها من الانحلال الخلقي وحياة الفوضى والعبث والسقوط في مهاوي الضلال وجلب الفوضى في المجتمع، وهي سبب رئيس لنشر الأمن الفكري لأن صاحبها يعرف حق الآخر عليه ويؤديه فينشر السلم في المجتمع⁵.

4- الاهتمام بالدعوة للمشتركات بدل الخلافات الفرعية: وهذا من أهم ما يحقق الفكر المعتدل، الذي يسعى لأن يجمع ولا يفرق، ويبشر ولا ينفر، ويبسر ولا يعسر، ولذلك يركّز على مواضع الاتفاق أكثر من تركيزه على مواضع الخلاف، بل إنه يجعل من مواضع الاتفاق وسيلة لتصحيح ومراجعة مواضع الخلاف.

ولهذا دعا القرآن الكريم إلى رعاية جوانب الوفاق في الخطاب مع الآخر سواء كان مسلماً أو غير مسلم باعتباره الفاتحة الطيبة، أو المسوغ الذي يفتح المجال بعد ذلك للحوار الهادئ في قضايا الخلاف، كما قال تعالى وهو يعلمنا منهج التعامل مع أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)، فمع كون مساحة الخلاف بين الإسلام واليهودية والمسيحية كبير جداً، ولكن مع ذلك ذكر لنا القرآن الكريم أن جوانب مهمة وأساسية تجمعنا معهم، وبمكنتنا من خلالها أن نتحاور ونتحاكم إليها وعند التأمل في هذه المشتركات نجدها من الكثرة بحيث تكاد تحيط بجوانب الدين جميعاً، وأهمها:

¹ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 1422 هـ، (1/ 439).

² رواه ابن ماجه في سننه، باب اجتناب الرأي والقياس، رقم: 54.

³ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، (ص171).

⁴ رواه البخاري في "الأدب المفرد"، باب حسن الخلق.

⁵ بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، دار الوطن للنشر، السعودية - الرياض، ط: 1، سنة: 2016، (ص: 179-180).

- **المشتركات العقديّة:** وهي ما اتفق عليه المسلمون من مسائل العقيدة وقضاياها، فهم يتفقون جميعاً في معظم المسائل المرتبطة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهم يتفقون في أكثر مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وإن كانوا يختلفون في بعض الفروع، التي ليس لها من الأهمية ما لأصول الدين الكبرى التي نصت عليها الأدلة القطعية .

- **المشتركات الفقهيّة:** ونريد بها ما اتفق عليه المسلمون من مسائل الفقه وقضاياها، وهي كثيرة جداً، سواء في أبواب العبادات أو المعاملات، باعتبار أن أصول هذه الأبواب مذكورة في القرآن الكريم بصيغة قطعية، لتحفظ وحدة الأمة في هذا الجانب .

- **المشتركات السلوكية:** ونريد بها ما اتفق عليه المسلمون من قضايا السلوك والأخلاق، والتي وردت التفاصيل الكثيرة المرتبطة بها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، واتفقت الأمة عليها بلا خلاف¹ .

5- الاهتمام بالتيسر بدل التعسير: وهي من السمات البارزة التي تحقق الأمن الفكري، وتدلل على أن أصحاب الفكر المعتدل هم الورثة الحقيقيون للسنة النبوية في التعامل مع أحكام الشريعة، فرسول الله ρ كما ورد في الحديث (ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها)²، بل إن رسول الله ρ كان لا يشق على أصحابه حتى في أوقات تعليمهم، فقد حدث ابن مسعود رضي الله عنه قال :كان النبي ρ "يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا"³ .

ولهذا وردت التحذيرات النبوية من التشدد في الدين في أحاديث كثيرة جداً، منها ما حدث به ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ρ قال: "هلك المتنطعون - قالها ثلاثاً-، وفي رواية: ألا هلك المتنطعون"⁴، والمتنطعون هم المتعمقون والمتشددون في غير موضع التشديد⁵ .

فالتيسير من شأنه أن يحقق الأمن في المجتمع بعكس التعسير الذي تنتشر به الفوضى .

6- الرد على الشبهات التي تزعم الأمن الفكري: وهذا واجب العلماء وطلبة العلم، فعليهم أن يواجهوا شبهات المتطرفين ويردوا على أوجه الاستدلال التي يستدلون بها، سواء من خلال الكتابات أو من خلال المناظرات أو غيرها من الوسائل المتاحة، فإن هذه الطريقة من شأنها أن تكبت أفواه المتنطعين وتنشر الأمن الفكري في وسط المجتمع⁶، قال ابن القيم: "ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والحنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان"⁷ .

¹ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، (ص172) .

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 3367 .

³ رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الاقتصاد في الموعظة، رقم: 7305 .

⁴ رواه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة رقم: 4610 .

⁵ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، (ص174-175) .

⁶ أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم، د: فايز حسان أبو عمرة ، و د: عبد السميع خميس العرابيد، مجلة الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية غرة، سنة 2016، (ص137) .

⁷ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ت: محمد أحمد الحاج، دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: 1، سنة: 1996م، (1/

ويكون ذلك أيضا بفتح قنوات الحوار أصحاب الانحرافات العقدية وسماع آرائهم وترك سياسة القمع وتكميم الأفواه والتضييق على الحريات، لأن جميع هذه الممارسات من شأنها أن تقضي على الأمن وتنتشر التطرف والفوضى .

7- دور الإعلام: فللإعلام دور كبير في نشر الأمن الفكري وتوجيه الرأي العام لبر الأمان، إذا أحسن استغلاله وقام عليه أناس أكفاء، ومن صور ذلك:

- تحمیل الفضائيات العربية همة القيام بمسئوليتها الشرعية والأخلاقية، لأنها وجهة لأمة ذات عقيدة وهوية وقيم، لذلك عليها أن تمنع الفرصة على المفسدين للعقيدة والهوية .
- التحذير من خطورة التطرف وأشكاله وتوضيح آثارها السلبية على الفرد والمجتمع خاصة فئة الشباب، فينبغي عليها التركيز على تربية الناشئة تربية صحيحة تحقق الأمن الفكري داخل المجتمع .
- ضرورة إنشاء منتديات ومواقع وطنية تعنى بالحوار بين جميع فئات المجتمع .
- ضرورة فتح المجال للرأي الآخر وقبول الحوار معه واستخدام الحجج والبراهين لإقناعه .
- استضافة المختصين في علوم الشريعة والحياة لتوضيح المنزقات الفكرية التي يتبناها الفكر المنحرف والرد عليها بصورة موضوعية¹ .

- تحفيز المتطرفين سواء على المستوى الفردي أو الجماعي على العودة لوسطية الإسلام، كما أن العقاب الصارم والردع الحاسم مطلوبان؛ لكنهما لا يكفیان لتحقيق النتائج المرجوة، فالتحول الفكري ينبغي أن يكون أيضا على مستويات داخل السجون وخارجها وفي مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة المعلومات الدولية، وفي عالم التأليف والكتابات، وهذا لتتأتى المواجهة الفكرية والإلكترونية للتطرف² .

8- الدعوة إلى الله: وهذه هي قطب الدين الأعظم الذي ينشر به الأمن الفكري ويرفع به الجهل والتطرف، وهي وظيفة الأنبياء والصالحين، ويترتب عليها الخير العميم والصالح الكثيرة في الدنيا والآخرة، فإذا غابت الدعوة انتشر الجهل وكثر الفساد وانتشر الباطل وتشقق المجتمع بسبب الفوضى .

والدعوة تكون بإبراز إشراقات الدين ووسطيته وأحكامه والأمر بالعرف والنهي عن المنكر ، وتكون بالحكمة والموعظة الحسنة استجابة لأمر الله في قوله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل:125)، وتكون الدعوة بالأسلوب الحسن وموافقة القول للفعل والتنوع بين الوعيد والوعيد ، فإذا انتشرت الدعوة بهذه الصفة عم الخير وانتشر الأمن الفكري والقومي، وأما إذا غابت الدعوة فإن الفوضى ستنشر ويحل محل الأمن الهلع والتنطع والفوضى³ ، كما في حديث زينب بنت جحش أنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: "لا إله إلا

¹ أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع (قراءة في الأسباب .. وبحث عن طرق العلاج)، د: مولاي ناجم، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، مارس 2017، (ص228) .

² أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع (قراءة في الأسباب .. وبحث عن طرق العلاج)، د: مولاي ناجم، (ص230) .

³ بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، (ص: 180-181) .

الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج وعقد بيديه عشرة قالت زينب قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال إذا كثر الخبث" ¹ .

9- أدوار أسرية واجتماعية: وهذه لها صور متعددة من أهمها:

- إتاحة الفرصة الكاملة للحوار الرشيد داخل المجتمع الواحد، ما يعني تقويم الاعوجاج، وذلك لأن بديل التحاور هو تداول هذه الأفكار بطريقة سرية غير موجهة .

- ضرورة تكافل جهود جميع المؤسسات الفاعلة في المجتمع من أجل العمل على الوقاية من التطرف قبل علاجه (تربوية -وظيفية -دينية)...

- تحمل مسؤولية الإصلاح لجميع فئات المجتمع، لأن الانحراف الفكري ليس مسؤولية العلماء والمرشدين، بل- هو؛ أي التطرف -مسؤولية كل افراد المجتمع من علماء دين ومربين وأساتذة وموظفين، وأكاديميين وغيرهم .

- التأكيد على دور المجتمع والأسرة، فكليهما يلعب دورا كبيرا في تشكيل القيم والأخلاق، من خلال التأثير على الفرد أثناء مرحلتي الطفولة والشباب، فيجب أن يكون هناك اعتبارا للتربية لضمان إيقاف التأثيرات الضارة على عملية التنشئة .

- المراقبة الواعية للأبناء والبنات وتكريس المزيد من الوقت لمتابعة نشاطاتهم والحرص على عدم انسياقهم مع التيارات المنحرفة والمشبوهة.

- التأكيد على دور الأسرة لإيجاد بيئة أسرية سليمة يجد فيها الأبناء التوافق والحوار الهادف والاحترام المتبادل.

- ربط المدرسة بالمجتمع المحلي، من خلال وضع مناهج جديدة للوقاية من الجريمة والانحراف² . وهناك صور أخرى لا يسع المقام لحصرها .

المطلب الثالث: عوائق تحقيق الأمن الفكري:

هناك عوائق كثيرة قد تحول دون تحقيق الأمن الفكري من أهمها:

1- الاستعمار وانتهاك الحرمات: فالاستعمار والسيطرة الاستعمارية وانتهاك حقوق الإنسان وأخذ أمواله بالباطل واحتلال الأراضي وانتهاك الحرمات والقتل والتدمير والاعتصاب وإجبار الناس على النزوح من أراضيهم، هذا كله يؤد إلى الإرهاب والعنف ويغيّب الأمن الفكري لأن الناس تتربى فيهم العداوة والبغضاء وروح الانتقام ، كما هو حاصل في كثير من الدول الإسلامية : فلسطين والعراق وسوريا واليمن وأفغانستان وغيرها، ذلك أن تلك الشعوب تعرضت لأشد أنواع البطش من المستعمرين الأجانب أو ن الأنظمة الحاكمة ، وهذا ما أدى إلى انفلات الأمور وانتشار التطرف والغلو والانتقام والفوضى المجتمعية وغياب الأمن الفكري والقومي³ .

¹ رواه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج رقم: 3168 .

² أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع (قراءة في الأسباب .. وبحث عن طرق العلاج)، د: مولاي ناجم، (ص227) .

³ أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم، د:فايز حسان أبو عمرة ، و د: عبد السميع خميس العراييد، ، (ص127) .

2- سوء الفهم لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث ذهبت فئة ممن لم يفهموا حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى استخدام العنف والقوة في تغيير المنكر، وأدى ذلك أحيانا إلى سفك الدماء، مع أن النبي الكريم ﷺ بين مراتب النهي عن المنكر في حديث أبي سعيد الخدري قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)¹ ، قال الطوفي: " هذا تنزل في تغيير المنكر بحسب الاستطاعة الأبلغ في ذلك فالأبلغ، إذ اليد أبلغ في التغيير ككسر أوعية الخمر والملاهي من يد مستعملها، ثم اللسان: بأن يغوث عليهم ويصيح فيتكروا ذلك، أو يسلط عليهم بلسانه من يفعل ذلك، ثم القلب: بأن ينكر المنكر بقلبه وينوي أنه لو قدر على تغيير المنكر لغيره لأن الإنسان يجب عليه كراهة ما يكرهه الله عز وجل من المعاصي، والأعمال بالنيات"² . ولا شك أن عدم فهم هذه المراتب وفقهها يترتب عليه تطرف فكري وفوضى مجتمعية يغيب معها الأمن الفكري الذي يُرجى حصوله .

3- الجهل بتعاليم الدين الإسلامي: وهذا ينتج عنه سوء الفهم للدين الإسلامي وحقيقته، ويترتب عليه الميل دائما: للتشدد بتضييق دائرة المباحات وتوسيع دائرة المحرمات، وقد ورد النهي عن ذلك في الشريعة فقال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (النحل:116)، ويترتب على ذلك غياب الأمن الفكري وينتشر بدله الغلو و التطرف الفكري³ . وقد ورد التحذير من هذا النوع من الناس في حديث أبي سعيد: " «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الرامي في النصل فلا يرى شيئا وينظر في القدح فلا يرى شيئا وينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء»"⁴ . ولذلك ذم القرآن الجهل لأنه سبب خراب العقول والدول فقال تعالى ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (الزمر:64) ، والجهل بالشريعة له أسباب أهمها: الانصراف عن طلب العلة الشرعي ، واتباع الهوى الذي يميل للمخالفة دائما⁵ .

4- تلقي العلم عن غير أهله: وقد أمرنا القرآن الكريم بأخذ العلم عن أهله الموثوقين والمؤهلين للكلام فيه حتى لا يقع خلط في فهم نصوصه والعمل بها، فقال تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43) ، كما أمر النبي الكريم ﷺ بإرجاع المشكل إلى أهل العلم فجاء في حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: " نزل القرآن على سبعة أحرف،

¹ رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان رقم: 186.

² التعيين في شرح الأربعين، نجم الدين الطوفي، ت: أحمد حاج محمد عثمان، مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتبة المكيّة (مكة - المملكة العربية السعودية)، الطبعة: 1، سنة: 1998م، (1/ 290) .

³ أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم، د:فايز حسان أبو عمرة ، و د: عبد السميع خميس العراييد، (ص132) .

⁴ صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، (2/ 1338) .

⁵ بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، (ص190-192) .

المراء في القرآن كفر، ثلاث مرات، فما عرفتم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه" ¹. ولا ينبغي الاغترار بمجرد صلاح الإنسان وعمله بالدين فإن هذا لا يؤهله للكلام في العلم والفتيا، بل يجب أن يكون الرجل معروفا بالعلم والفهم السليم، قال الإمام مالك: " « لقد أدركت بهذا البلد - يعني المدينة - مشيخة لهم فضل وصلاح وعبادة يحدثون ما سمعت من واحد منهم حديثا قط » ، قيل : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : « لم يكونوا يعرفون ما يحدثون » ² . وثمرة أخذ العلم عن غير أهله هي الخطأ في الفهم والتطبيق، وينتج عنه التطرف والفوضى الفكرية التي يغيب بسببها الأمن الفكري ³ .

5-الشدوذ الفكري لدى بعض المرجعيات: حيث ظهرت طائفتان متناقضتان رأت إحداهما: الشريعة بمراى التشدد والتنطع وأن سبيل الغلو هو الذي يحفظ الدين، واتخذت الأخرى من يسر الشريعة ذريعة للتحلل والتسيب فراحوا يتبعون أهواءهم ويفسرون نصوص الشريعة على حسب ما يوافقهم، والطائفتان في طريقي نقيض بين إفراط وتفريط، وهذا أدى إلى ظهور التطرف بنقيضيه ما أدى إلى غياب الأمن الفكري وانتشار الفوضى وتغلب الهوى ⁴ .

6-كيد الأعداد: حيث يسعى أعداء الاستقرار والأمن إلى بث الفوضى الفكرية ليغيب من خلالها الأمن وتخرب الأوطان والمجتمعات، وقد اتخذوا لذلك صورا شتى من أهمها:

- الغزو الفكري: وذلك بنشر عادات وأفكار غير عادات وأفكار المجتمع الإسلامي .
- التغريب: من خلال إقناع الدول العربية والإسلامية باستيراد النظام الغربي العلماني والبعيد كل البعد عن الدين وتعليماته، في جيع النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .
- التشويه: وذلك من خلال تشويه صورة الدين الإسلامي والتزييف لتعاليمه والكذب من أجل إظهاره على أنه دين لا يتناسب تعاليمه هذا العصر، وأن التمسك به يؤدي إلى التخلف ⁵ .
- هذه هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى غياب الأمن الفكري، وهناك أسباب أخرى لم يسع المقام لشرحها هنا:
- إهمال الحاكم للرعية فتزول الثقة ويذهب الأمن ويحل محله الفوضى والتطرف .
- حب الظهور والشهرة مما يجعل الشخص يشيع الأفكار المنحرفة فيغيب الأمن الفكري .
- الارتباط بالشخص أو الجهة لا بالفكرة .
- أسباب اقتصادية مثل البطالة التي مآلها التمرد بسبب الفراغ، ونتيجته غياب الأمن .
- المشاكل الأسرية التي تسبب الضغط والعنف .
- غياب دور المؤسسات في علاج ظاهر التطرف وتقديم البدائل، مثل: المسجد، الجامعة، الأندية الثقافية وغيرها.

¹ رواه أحمد في مسند أبي هريرة، رقم: 8210-، (17/ 241) .

² الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، سنة: 1403هـ، (1/ 189) .

³ التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته -دراسة من منظور الكتاب والسنة-، د: نادى محمود حسن، أبحاث ووقائع المؤتمر السابع والعشرين بعنوان "دور القادة وصانعي القرار في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب والتحديات"، برعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، (ص10) .

⁴ التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته -دراسة من منظور الكتاب والسنة-، د: نادى محمود حسن، (ص10) .

⁵ بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، (ص229-231) .

- الإدمان على المسلسلات التي تنمي روح العداوة للمجتمع وتجعل مُشاهدَها مشحوناً بالأفكار والتخيلات التي تضاد الأمن الفكري للفرد .
- العنف ضد الشباب وعدم السماح لهم بالتعبير عن آرائهم .

المطلب الرابع: أثر تحقيق الأمن الفكري على السلم الاجتماعي .

من مقاصد الدين الكبرى التي ورد التنصيص عليها في النصوص الكثيرة تحقيق السلم الاجتماعي بجميع معانيه ومراتبه، فقد عرف رسول الله ρ المسلم بقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"¹، وبناء على هذا فإن دور الفكر المعتدل في تحقيق السلم الاجتماعي كبير، وأهم آثاره ما يلي:

1- تحقيق الأمن الفكري للمجتمع: عند تحليل الأسباب الكبرى التي أسست للعنف والتطرف سواء في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث، أو في غيرها من المجتمعات، نجد العامل الفكري هو قطب الرحى، وهو السبب الأكبر والمباشر فيها، إلى الدرجة التي يكاد يستأثر بها في كل أنواع الصراع التي حصلت في العالم سواء على مستوى المجتمعات، أو على مستوى الدول والأمم. فالنازية والفاشية والأفكار الممجدة لبعض الأعراق البشرية هي التي أثارت الحروب العالمية .

وبناء على هذا ظهرت دراسات كثيرة في أنحاء العالم تبين أهمية الأمن الفكري، وإعطاءه أهمية لا تقل عن أهمية الأمن الاقتصادي أو الأمن القومي، فالأمن الفكري هو الأساس الذي تقوم عليه كل أنواع الأمن .

فالخروب في العصر الحديث لم تعد قاصرة على الحروب العسكرية، بل تحولت إلى حروب ناعمة، تستعمل كل الوسائل العصرية لتغيير أفكار المجتمعات، وإبعادها عن هويتها، لتسخيرها بعد ذلك في خدمة المستعمر الذي لا يكلف نفسه ولا جيوشه أي عناء لتحقيق أغراضه، فيكفيه أن يحول المجتمعات إلى نسخة تخدم غرائزه التوسعية.

ولهذا فإن أول ما يهتم به الفكر المعتدل هو مواجهة كل الأسلحة التي توجه للمجتمعات الإسلامية ابتداء من العولمة بأنواعها المختلفة، والتي تحاول تغيير أنماط الشخصية الإسلامية لتنسجم مع الشخصية الغربية، وتخدم الاقتصاد الغربي والثقافة الغربية وانتهاء بتلك الأفكار والعقائد الخطيرة التي تسربت للمسلمين تحت أسماء الإلحاد الجديد، والحداثة، والليبرالية، والحرية الشخصية وغيرها .

وفي مقابل ذلك نجد الفكر المتطرف يقلب صفحات التاريخ ليقاوم فرقا وجماعات مندفرة لا وجود لها، غافلا عن الأخطار الحقيقية التي تهدد المجتمعات المسلمة في صلب عقيدتها² .

2- حماية المجتمع من التفكك والتصدع: من الشروط الأساسية لتحقيق السلم الاجتماعي بصفته الكاملة ما يمكن أن يطلق عليه -الوحدة الاجتماعية-، والمراد منها ذلك التلاحم والتماسك الاجتماعي الذي يجعل من أفراد المجتمع لبنات متناسقة متماسكة يضم بعضها بعضاً، ويعين بعضها ليرتفع ببيان المجتمع شامخاً قوياً موحداً متناسقاً، وتكون الأمة الإسلامية قائدة للأمة بعيدة عن التخلف . وقد أشار إلى هذه الناحية من السلم الاجتماعي رسول الله ρ في

¹ رواه الترمذي في سننه، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في أنَّ المُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، رقم: 2836 .

² الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، (ص 176) .

قوله: "المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً"¹، وهو تشبيه مشابه لما ورد في القرآن الكريم من الدعوة إلى رصّ الصفوف وتوحيدها لمواجهة العدو المشترك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَ ۚ فَكَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوعًا﴾ [الصف: 4] وانطلاقاً من هذا، فإن الاعتدال الفكري هو الذي يركز على الدعوة للوحدة الاجتماعية، والسلوكات الاجتماعية المحققة لها، ولهذا ينفر ويجذر من كل ما يمكن أن يؤثر في تلك الوحدة من السلوكات، ولو أن أصحاب الفكر المتطرف قرأوا السيرة المطهرة، وكيفية تعامل رسول الله ﷺ مع المنافقين، وأنه لم يقتلهم حرصاً على سمعة الإسلام، وخشية من التنفير منه لكان لهم في ذلك قدوة، مع أن الذين يقتلونهم أو يفتنون بقتلهم لا يصلون مهما بلغ بهم الانحراف إلى ما وصل إليه المنافقون الذين أخبر الله تعالى أنهم في الدرك الأسفل من النار، وليس هناك درك أسفل منه. ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: كانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبي: أو قد فعلوا، والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فقال عمر: دعني، يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: "دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"².

3- حماية المجتمع من الانحراف والانحلال: تعتبر المعاصي والانحرافات التي تتسرب إلى المجتمعات من أكبر أسباب هلاكها وتحولها من الاستقرار والطمأنينة إلى الخوف والاضطراب، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"⁴، وكان الرسول ﷺ يصور بدقة المجتمعات المنحلّة المعاصرة، والتي اختصرت الحياة في الجانب المادي، وحرصت عليه، وشحت به، وقد حملها ذلك على أن تفرط في أعراضها، وأن تمارس كل أنواع الظلم والاعتداء لتستلب من أموال المستضعفين ما تضيفه إلى أموالها.

وهكذا نجد لكل معصية تأثيرها الخاص في تهديم البنیان الاجتماعي، والتأثير السلبي عليه، ولذلك ذكر القرآن الكريم أن خيرية هذه الأمة متوقفة على مدى التزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 110) وعندما سألت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: أهلك وفينا الصالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: "نعم إذا كثر الخبيث"⁵ بناء على هذا، فإن الفكر المعتدل هو الذي يبذل كل جهده للتوعية والتربية والإصلاح الاجتماعي، مستعملاً في ذلك كل الوسائل والأساليب الممكنة، بينما يقف الفكر المتطرف في برجه العاجي يحكم على المجتمع بالضلالة والبدعة والكفر من دون أن يحرك ساكناً لإصلاحه⁶.

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أبواب المساجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: 467.

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى من دعوى الجاهلية رقم: 3330.

³ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، ص 177، وبلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، (ص 184).

⁴ رواه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب باب: تحريم الظلم، رقم: 6742.

⁵ رواه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج رقم: 3168.

⁶ الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، (ص 179).

4- حماية المجتمع من التطرف والعنف: من أبرز الوظائف التي يقوم بها الفكر المعتدل أثناء أدائه لدوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثناء حرصه لتحقيق السلم الاجتماعي وقوفه في وجه كل مظاهر التطرف والعنف سواء ما ارتبط منها بالأفكار والمواقف، أو ما ارتبط بالأساليب والوسائل، وهذا من أسباب تقدم الأمم ورفعتهما فالأمن والأمان ثمرة للفكر السليم .

ولهذا ورد في الحديث الدعوة إلى وجوب المعاملة الشديدة مع من يهددون الأمن الاجتماعي بأفكارهم المتطرفة المنحرفة، ففي الحديث الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ صفات المتطرفين الذين خرجوا على هذه الأمة، وكفروها: **إن من ضئسيء هذا قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لمن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**¹. وهذا طبعاً موكول لأولي الأمر المسلمين، أما من عداهم، فإن وظيفتهم في مواجهة الفكر المتطرف هي المواجهة الفكرية بالرد عليه، وبيان كونه بدعة حادثة في الدين، وهذا لا يقل شأناً عن مواجهة العولمة والتنصير والإلحاد، ذلك أن أكبر موجة يركبها هؤلاء جميعاً هي تلك الصورة المشوهة للدين، والتي يرسمها هؤلاء بمواقفهم وسلوكياتهم. ولذلك فإن الفكر المعتدل هو الذي يطرح للعالم صورة رسول الله ﷺ الممتلئة بالرحمة، والذي وصفه الله تعالى بكونه **﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** (الأنبياء: 107)، كما ورد في السنة المطهرة الكثير من النصوص التي لو تأملها المتطرفون، واكتفوا بها، لحففوا من غلوائهم ومواقفهم الشديدة. فقد كان رسول الله ﷺ يعلم الأمة من خلال تلك المواقف كيفية التعامل مع العصاة والمذنبين، كما علمهم كيفية التعامل مع المنافقين وأهل الكتاب وغيرهم من الناس².

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقة البحثية المتعلقة بالأمن الفكري ودوره في نشر السلم الاجتماعي نخلص إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- 1- من أهم أسباب تحقيق السلم الاجتماعي: الأمن الفكري الذي يعيش الناس في ظلّه آمنين في بلدانهم وأوطانهم مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية .
- 2- تتحكم عوامل كثيرة في تحقيق الأمن الفكري، أهمها:
 - التحاكم إلى المصادر الأصلية للشريعة ن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
 - الرجوع إلى العلماء العدول الثقات في فهم نصوص الشريعة .
 - الاهتمام بالدعوة للمشاركات بدل الاهتمام بالخلافات الفرعية .
 - التحلي بمكارم الأخلاق ليسهل العيش والتعامل بين أفراد المجتمع .
 - الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .
 - الرد على الشبهات التي تزعم الأمن الفكري .

¹ رواه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في قتال الخوارج رقم: 4769.

² بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، (ص184)، والاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، (ص 181).

- الاهتمام بدور الإعلام لنشر الفكر الصحيح والرد على الفكر الباطل .
- 3- هناك عوائق كثيرة تحول عن تحقيق الأمن الفكري، من أهمها:
 - الاستعمار وانتهاك الحرمات .
 - الجهل بتعاليم الدين الإسلامي .
 - سوء الفهم لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
 - تلقي العلم عن غير أهله .
 - الشذوذ الفكري لدى بعض المرجعيات .
 - كيد الأعداء .
- 4- إذا تحقق الأمن الفكري ترتبت عليه آثار كثيرة من أهمها:
 - تحقيق الأمن الفكري للمجتمع .
 - حماية المجتمع من التفكك والتصدع .
 - حماية المجتمع من الانحراف والانحلال .
 - حماية المجتمع من التطرف والعنف .

قائمة مراجع البحث:

- 1- "أهمية الأمن الفكري"، د. محمد الواصل المعهد العلمي في الملز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- 2- أثر التطرف الفكري على الفرد والمجتمع (قراءة في الأسباب .. وبحث عن طرق العلاج)، د: مولاي ناجم، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، مارس 2017م .
- 3- أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم، د: فايز حسان أبو عمرة ، و د: عبد السميع خميس العراييد، مجلة الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية غزة، سنة 2016م .
- 4- الاعتدال الفكري والسلم الاجتماعي، د: نور الدين بولحية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: 38، جوان 2018م .
- 5- الأمن الفكري المفهوم التطورات والإشكالات، د: إبراهيم بن محمد علي الفقي، بحث قد للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، سنة: 1430هـ .
- 6- بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، عبد الرحمن السديس، دار الوطن للنشر، السعودية -الرياض-، ط: 1، سنة: 2016م .
- 7- التطرف الفكري أسبابه ومظاهره وسبل مواجهته -دراسة من منظور الكتاب والسنة-، د: نادى محمود حسن، أبحاث ووقائع المؤتمر السابع والعشرين بعنوان "دور القادة وصانعي القرار في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب والتحديات"، برعاية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

- 8- التعيين في شرح الأربعين، نجم الدين الطوفي، ت: أحمد حجاج محمد عثمان، مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتبة المكيّة (مكة - المملكة العربية السعودية)، الطبعة: 1، سنة: 1998م .
- 9- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، سنة: 1403هـ .
- 10- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ت: د: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 2، سنة: 1991م .
- 11- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، سنة: 1422هـ .
- 12- " السلم الاجتماعي مفهومه ومقوماته"، د: ناجي عباس، نشره مركز عدل لحقوق الإنسان، 2ماي 2019 .
- 13- السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية، محمد سليمان المومني، بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، الأردن، سنة: 2017م .
- 14- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: 1 .
- 15- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط: 3، سنة: 1414هـ .
- 16- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط: 1، سنة: 1399هـ / 1979م .
- 17- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، سنة: 1412هـ .
- 18- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، ت: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: 1، سنة: 1996م .